

مؤسساتنا الدينية ودورها في التعايش والأندماج مع الآخرين

1- الواجب على هذه المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية أن تُنبه المجتمع على السير على منهج الرسل والأنبياء والصالحين وطريقتهم في التعايش مع الآخرين وكيف كانوا يلتصقون العذر غالباً لأقوامهم بأنهم جاهلون لا يعلمون بالحقائق بأجمعها ، وفي ذلك درس بليغ لنا بأن لا نتسرع في إساءة الظن بالآخرين وأن نتفهم ظروفهم التي تجعلهم غير منطعيين على الحقيقة.

لقد ذكر (Lowell W. Livezey) في بحثه (المجتمعات والمقاطعات)

(Communities and Enclaves)

إن برامجنا لم تنظم دروس تعليمية عن الأديان والعرقيات الأخرى التي تعيش بيننا ، إن عطلة عيد الشكر في أمريكا بالرغم من إهتمامها بالتنوع إلا أنها دون المستوى المطلوب]

2- إن على المؤسسات الدينية والثقافية التعريف بهذا التنوع من خلال النصوص الشرعية لا المواقف الشخصية ولا ما يُمليه واقع العصر فهناك أناس لم تتوفر لهم فرصة التعرف على منهجية دينهم والأطلاع عليه ولو أتاحت لهم تلك الفرصة وأزاحت من أمامهم الشبهات والحواجز لأحترموا الرأي المقابل لهم يقول الفيلسوف الفرنسي (ديكارت) (إني لا أدعي أن المسيحية قطعاً أفضل دين في الأرض ، ولكنني أقول أن المسيحية هي الأفضل بالقياس إلى الأديان التي أعرفها وقد تناولتها بالبحث والتحقيق وليس لي أي عداوة مع الحقيقة ، فقد يكون هناك في أماكن أخرى من الدنيا دين يرجح على المسيحية وأحسن من المسيحية) وقد عقب الشيخ المطهري على رأي (ديكارت) قائلاً:

(لو كان ديكارت صادقاً في حديثه ومستسلماً للحقيقة بالمقدار الذي يدعيه لنفسه وقد بحث واستقصى بكل جهوده ولم يصل إلى أكثر مما وصل إليه فهو يُعدُّ حينئذٍ مُسَلِّماً بالفطرة .)

- لقد تطرق الرئيس الأمريكي (باراك اوباما) في خطابه في جامعة القاهرة بتاريخ 4 - 6 - 2009 الى الحث على مفهوم التنوع وتعميق الثقة بين أبناء الشعوب والأديان قائلاً :

لقد أتيتُ الى القاهرة للبحث عن بداية جديدة بين الولايات المتحدة والمسلمين حول العالم إستناداً الى المصلحة المشتركة والاحترام المتبادل وهي بداية مبنية على أساس حقيقة أن أمريكا والأسلام لا يُعارضان بعضهما البعض ولا داعي أبداً للتنافس فيما بينهما بل لهما قواسم ومبادئ مشتركة يلتقيان

هناك حاجة ملحة وشعور قوي بضرورة إعادة صياغة بعض المفاهيم التي يكثر تداول عناوينها في الوسط الاجتماعي والثقافي بسبب كثرة التشويهات التي لحقت بتلك المفاهيم نتيجة سوء فهمها أو سوء ممارستها وتطبيقها مما جعل جملة من هذه التشويهات تعطي صورة سيئة عن هذه المفاهيم وعدم صلاحيتها ، فقيمة المفهوم تتحدد بمقدار انعكاساته على الواقع العملي ومن هنا تعتبر المفاهيم أفكاراً أساسية وضوابط مهمة لسلوك الفرد والجماعة بل هي القواعد والركائز للعمل ومن تلك العناوين التي التبتت فيها المفاهيم وغدت موضع نقاش وجدال حول جدواها العملي وفائدتها الحياتية (التنوع والتعايش والمواطنة) حيث واجهت هذه العناوين إشكاليات كبيرة وجدلاً واسعاً نتيجة إختلاف النظرة إليها من خلال إختلاف مفهومها ونظرتها الى الدين.

فالنظرة السائدة عند الكثير من غير المسلمين الى الأسلام في بلاد الغرب أو في ساحة أمريكا الشمالية هو أن الأسلام لا يعطي شرعية لأي فئة من الفئات ولا يعطي شرعية للتنوعات بل يفترض أن تدوب هذه التنوعات باكملها أمامة وأن يتوحد الناس فيه جملةً وتفصيلاً.

هذه المسألة وضحت بعض جوانبها في البحث الذي قدمته الى الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن مبيناً أن الفكر الاسلامي موقفه من التنوع والتعايش بين المجتمعات الأخرى هو موقف إيجابي بحت ، حيث يعطي شرعية الوجود في العقائد والمذاهب والاتجاهات الفكرية المخالفة له ولا يفرض على اصحابها الإذعان له من دون قناعات ولا ينكره على إعتناقه أحداً.. وقد إستخرجت من ذلك البحث فقرة في غاية الأهمية أعرضا بخدمتكم أملاً أن أحظى بقدكم البناء وتوجيهاتكم السديدة وهي " كيف تستطيع المؤسسات الدينية إدارة التنوع":

إن المؤسسات الدينية والثقافية لها الدور في حث أبناء المجتمع على الانتقال من زمن التعصب الى زمن التسامح والتعايش ، ولكن على الرغم من رؤية الأديان والكتب السماوية في القبول بالآخر والأعتراف به والتعايش معه حتى وان كان مغايراً في الدين والمبدأ إلا أن داعاً مقبلاً لا يزال ينخر في كيان المجتمعات فيقعدُ بها عن النهوض ويكرس تمزقها ويمنعها من التوحد وإجتماع الشمل وذلك الداء الخطير هو

(التعصب المذهبي أو الديني)

يقول النبي (ص) [من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية]

إننا نجد في ساحة أمريكا الشمالية توجهات متعددة متباينة ومتناقضة في تحديد النظر الى الآخر المخالف دينياً أو مذهبياً تتراوح بين التشدد المفرط أو التسامح المفرط وهذه ظاهرة طبيعية لسعة حجم هذه الساحة وكثرة القوميات والطوائف فيها ولعل ذلك يعود الى سبب رئيسي هو " إختلاف الفهم في الموازنة والترجيح بين ماورد في كثير من الكتب من نصوص وآراء قد يدفع البعض باتجاه التشدد تجاه المخالفين وقد يشجع القسم الآخر على

المرونة والتسامح والتعايش

وبالتالي تأتي المفاهيم والكتابات في هذا الموضوع تبعاً لمواقف الأشخاص وإنفعالاتهم وطبائعهم وظروفهم "

لذلك فإن المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية عليها مهام وواجبات كثيرة في تعبئة هذا الجيل وحركته

عبرها ألا وهي مبادئ العدالة والتقدم والتسامح وكرامة الإنسان , إنّه يجب أن يتم بذل جهود مستديمة للأستماع الى بعضنا البعض وللتعلم من بعضنا البعض والبحث عن أرضية مشتركة [ثم إستشهد الرئيس الامريكى (باراك أوباما) بالآية القرآنية المباركة: [إتقوا الله وقولوا قولاً سديداً]

إنّ النقطة المهمة التي أكد عليها الرئيس الامريكى في مقطع آخر من خطابه وأراد من خلالها أن تتوجه الشعوب في العالم الى فهمها وعلى المؤسسات الدينية والثقافية أن تركز عليها قانلاً:

[ليس هناك أي شك من أنّ الإسلام هو جزء لا يتجزأ من أمريكا واعتقد أنّ أمريكا تمثل التطلعات المشتركة بيننا جميعاً بغض النظر عن العرق أو الديانة أو المكانة الاجتماعية ألا وهي تطلعات العيش في ظل السلام والأمان والحصول على التعليم والعمل بكرامة والتعبير عن المحبة التي نكنّها لعائلاتنا ومجتمعاتنا وربنا , هذه هي قواسمنا المشتركة وهي تمثل أيضاً آمال البشرية جمعاء]

لقد ذكر (روبرت وثانو) في كتابه (أمريكا وتحديات التنوع الديني) [إنّ النشاطات التي تقوم بها المؤسسات الدينية في مجال التنوع لا يتناسب حجمها وضخامة هذه المؤسسات , فهي مؤسسات منصّبة على العبادة وتقديم الخدمات وأما الحوار مع الاديان الأخرى فلا يحصل إلا مرة واحدة في السنة أو مرتين وإذا حصل فيتم بحضور شخص واحد أو شخصين لكل مجموعة]

3- تعميق مفهوم إنّ إختلاف الرأي لا يوجب العداوة: إنّ الرأي من شؤون قلب الإنسان وهو من أخصّ خواصه الذاتية الشخصية فلا يحق لأيّ أحد أن يتدخل في هذا الشأن بالقسر والقوة كما أنّ التدخل في هذه المنطقة المحرمة لا يجدي ولا يؤثر فإذا ما حاولت أي قوة أن تفرض على إنسان رأياً أو تمنعه من رأي معين فإنها لن تستطيع إلا إخضاعه ظاهراً أما قراره الداخلي وإيمانه القلبي فيستعصي على الفرض والإكراه , لذلك فإنّ الله تعالى ينفي إمكان الإكراه على الدين وينهى عنه بقوله تعالى [لا إكراه في الدين]

وقد أعطى الله عز وجل المجال للإنسان في هذه الحياة ليمارس حرية الرأي والمعتقد فلم يفرض عليه الإيمان به عنوةً بل أنار له طريق الهداية وترك له حرية الاختيار

[وقلّ الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] وكذلك يربّي القرآن الكريم الإنسان على هذا المنهج الموضوعي حينما يتحدث عن فئات من الراضين لرسالات الأنبياء والأساءة للانبيا بآن سبب ذلك الرفض وتلك الأساءة هو الجهل وعدم العلم , كقوله تعالى [ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون]

إنّ ساحة أمريكا الشمالية تعيش تجربةً فريدة من نوعها في إحترام آراء وأديان الغير , فقد أصدر الكونغرس الأمريكي في يوم 2 - 11 - 2007 بأغلبية أصواته بقرارٍ عن إعترافه بشهر رمضان المبارك وبقدسية هذا الشهر لدى المسلمين وقد رعت هذا القرار النائبة عن ولاية تكساس (إدي برنيس جونسون) وإشترك في تبنيّه (30 مشرّعاً) بمن فيهم النائب المسلم (كيث إليسون) من ولاية منيسوتا وهو أول مسلم يُنتخب لعضوية الكونغرس الأمريكي في التاريخ الأمريكي , حيث يقول النائب (كيث إليسون) لموقع (المعلومات الأمريكي

Us info 2004

[إنّ الفكرة الأساسية هي أن نظهر ليس فقط للعالم الإسلامي بل للعالم أجمع بأنّ كونغرس أمريكا هو مكان تحترم فيه كل المعتقدات ويعترف بكلّ

المعتقدات , فهو مكان نحتضن فيه تنوعنا ومكان نعتقد فيه بأنّ وعد أمريكا هو أنه يمكنك أن تنشئ العقيدة السماوية التي تراها ملائمة لك حسب تقديرك ووفق تقاليدك وبطريقتك الخاصة]

وقالت راعية مشروع القرار الرئيسية (إدي برنيس جونسون) مخاطبة مجلس الكونغرس قبل إقرار القرار [إنّ المسلمين الأمريكيين يساهمون في النمو القوي للمجتمع والثقافة ولهم دور بارز في العملية السياسية لبلدنا ونموه الاقتصادي وتطوره العلمي ومشاريعه التجارية الحرة وتسامحه الديني وتطبيقه للقانون وأمنه الداخلي] .

4- الدعوة الى الانفتاح ورفض الانغلاق:

حيث إنّ الله تعالى يبشّر عباده المنفتحين فكرياً والذين يدرسون مختلف الآراء ليتبنوا أفضلها وأحسنها بأنّ منهجية الانفتاح هي التي ستقودهم الى الهداية وتمكّنهم من استثمار عقولهم وإستخدامها بالشكل الصحيح حيث يقول سبحانه وتعالى [فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب يستمعون القول أي يقصدون الأصغاء اليه باهتمام وليس يسمعون بشكل عفوي عابر. لقد ذمّ القرآن الكريم منهجية الانغلاق الفكري من خلال إدانته لرفض المخالفين للانبيا وعدم الاستماع والأصغاء لما يطرحه الأنبياء , فهؤلاء قوم نبي الله نوح (ع) كانوا يرفضون مجرد السماع الى دعوته فإذا جاء لمخاطبة أحد منهم أمسك على إذنه بأصابعه بل غطّى وجهه عنه حتى لا ينفذ الى ذهنه شيئ من كلامه أو تتأثر نفسه بلامح شخصيته وإشاراتِهِ حتى شكاهم النبي نوح (ع) الى ربه تعالى كما يقول القرآن الكريم

[وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وإستغشوا ثيابهم وأصروا وإستكبروا إستكباراً]

إنّ المؤسسات الدينية والثقافية والأجتماعية يجب ان تُعالج هذا الانغلاق من خلال الندوات والحوارات وكتابة المقالات ولماذا يفرض الإنسان حصاراً على عقله؟؟ ولماذا يرفض الانفتاح على الرأي الآخر؟؟

وهذا الانغلاق قُدّر له مبررات وأسباب عديدة سأعالجها وأتطرق اليها في الحلقة القادمة من البحث ان شاء الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

مازن السهلاني / الحلقة الأولى من البحث الذي قدمته الى الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن - بريطانيا 2009

--	--